الكاتب: **د. خميس أحمد أرحومه** عنوان المقال: **معركة مرج الأسقف (بوزن) 249هـ/ 863م (الدو افع - الأهمية)**
استاذ مساعد قسم التاريخ كلية الآداب
جامعة طبرق- ليبيا
**البريد الالكتروني: Kbootruba@yahoo.com**

**تاريخ الإرسال:** 2019/12/11 **تاريخ القبول:** 2020/02/16 **تاريخ النشر:** 2020/03/31

**معركة مرج الأسقف ( بوزن) 249هـ/ 863م (الدو افع - الأهمية)**

**Battle of the Maraj Alasqif (Poson) 249A.H/863A.D**

**(Motives-Importance)**

**الملخص بالعربية:**

كانت الصراعات والحروب هي النمط الأكثر شيوعا في العلاقات بين الشرق والغرب، ويقف موضوع هذا البحث حول أحد تلك الشواهد التي وقعت في لقاء بين كيانين سياسيين أحدهما مثل الغرب وهو الإمبراطورية البيزنطية، والآخر مثل الشرق وهو الخلافة العباسية الإسلامية.

كان هذا اللقاء سنة 249هـ/ 863م في معركة عرفت باسم مرج الأسقف Poson وعلى الرغم من قلَّة المعلومات الواردة بين طيات المصادر حول أحداث هذه المعركة إلاَّ أن هذا الأمر لم يقف حائلا دون الخوض في تفاصيل هذه الموقعة المهمة. ولعل الغموض الذي خيم عليها كان السبب الكامن خلف اختيارنا لها كموضوع بحث نهدف من خلاله الكشف عن تفاصيل الأحداث ومجرياتها، وتسليط الضوء على أهم النتائج المباشرة وغير المباشرة التي أسفرت عنها منوهين على اعتمادا في سبيل ذلك على المنهج التاريخي السردي التحليلي المقارن. وقد وصلت هذه الدراسة إلى نتائج عدة هي

أن هذه الدراسة أوضحت مجريات الأحداث العسكرية لأحدى المعارك ذات الأهمية في الصراع المحتد بين الدولتين ومدى التنافس على السيادة والسيطرة بينهما. وتتبين أهمية هذه المعركة من حيث المشابهة في نتائجها وآثارها لتلك المعارك الكبرى، كمعركة بواتييه التي أوقفت تقدم القوات الإسلامية إلى حين في أوروبا، وكذلك أوقفت معركة مرج الأسقف تقدم القوات الإسلامية في آسيا. كما تشابهت مع نتائج معركة اليرموك التي أنتصر فيها المسلمون، حيث إن نتيجتها فرضت على الإمبراطورية البيزنطية المنهزمة وضع المدافع لا المهاجم، وهذا

ما حدث عقب هذه الواقعة حيث منحت نتيجتها القدرة للقوات البيزنطية المنتصرة في الهجوم وأوقفت غارات المسلمين البرية على بيزنطة وجعلتهم في موضع الدفاع لا الهجوم.

تبين من خلال هذه الدراسة أن انتصار بيزنطة في هذه المعركة كان فعلا نقطة تحول في الصراع بين الشرق والغرب، حيث إنها شكلت منعطفا جديدا في العلاقات بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، وأثرت بشكل مباشر في كفتي ميزان القوى بينهما فرجحت كفة القوات البيزنطية على كفة قوات الخلافة الإسلامية.

نتيجة أخرى هي إن ما أسفرت عنه هذه المعركة شكل نقطة الإفاقة التي شهدتها قوات الإمبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية التي أعقبت الأسرة العمورية في حكم الإمبراطورية فبادرت بالهجوم على الثغور الإسلامية. وأيضا من خلال تتبع سير الأحداث السابقة واللاحقة لمجريات معركة مرج الأسقف يتبين عمق ذلك الصراع الأيديولوجي، وكذلك السياسي ومحاولة كلا الطرفين بسط النفوذ على أكبر مساحة للاستئثار بموارد هذه المساحة وذات الوقت لنشر الفكر الديني وضم أكثر عدد إليه سواء باعتناقه أو مناصرته.

**Abstract :**

The conflicts, war is a pattern most common in the relations between the East and West, hence the subject of this research one of the evidence for that conflict between , the West, "Byzantine Empire" and the East "caliphate Abbasid" The both sides met in a battle in 249 Ah / 863AD, known as a battle of Maraj Alasqif (Poson ) despite the lack of information about the battle in the sources, However, this has not deterred the writer to highlight this topic as well as show importance of this battle . Perhaps this is the reason behind my selection of this topic as subject of research, this study aims to disclosure of event details and highlight the most important results direct and indirect. This paper depend in the historical narrative analytical comparative. This study led to several results : The study indicated a military action as well as an important battle that happened between the east and the West and shows how to compete on sovereignty and control between them. Firstly, Importance of this battle that the similarity of its results to other a great battles, for instance the battle of Poitiers that stopped the Islamic

conquest in Europe, likewise the battle of Poson stopped the progress of Islamic army in Asia. A similarity also to the battle of Yarmuk which the Muslims gained a victory over the Byzantine Empire , as the result they put the Byzantine Empire in position of defender instead of attacker, likely that's what happened after the the battle of Maraj Alasqif( Poson) where the Byzantine victory stopped the Muslims raids. Secondly, this study provides a clear evidence that this battle was actually a turning point in the conflict between the East and West, where it is formed a turn for a new in the relations between the two-state namely the Islamic caliphate and Byzantine empire , and influenced directly in the balance of power in the region by the superiority forces Byzantine over the forces caliphate Islamic. Thirdly, this battle from a point of departure forces Byzantine Empire in the era of the Macedonian family to attack the Islamic region . Finally, through track progress of past events and subsequent of battle of Poson I found that it's represent in a depth the conflict ideological and political as well as the both parties tried to control the larger area to have an advantage of the resources of that area and to spread religious thought.

**مقدمة**

مثلت الصراعات والحروب نمطا من أنماط العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط ، ويبدو هذا ظاهرا لجميع المهتمين بهذا الشأن والمتتبعين لأحداث تلك الفترة؛ حيث كانت الصراعات هي السمة الغالبة على طبيعة تلك العلاقة، ولا يوجد في الحقيقة تفسير واضح محدد يمكن التعاطي معه على أنه سببا لتغلب هذا الأسلوب دون غيره؛ إلاّ احتمال أن يكون ناتجا عن تضارب مصالح أو اختلاف أيديولوجي بين الطرفين، وعدم قدرة تلك الأطراف أن صح التعبير على إيجاد قواسم مشتركة في غالب الأحيان تمكنهم من الوصول لتوافق مادي أو فكري على حد سواء، فلجئوا من ثم إلى فرض إرادتهم مسخرين في سبيل تحقيقها كل ما كانوا يمتلكونه من عدة وعتاد. و في غمرة مجريات الأحداث التاريخية ما يؤكد ذلك، فهذه المعركة التي نحن بصدد تناولها يمكن أن تكون أحد الشواهد لما نرمي إليه ، فلقد حدثت بين كيانين سياسيين يمثل كل منهما طرفا من أطراف الصراع "الغربي - الشرقي"

ويقصد بهما الإمبراطورية البيزنطية، والخلافة الإسلامية اللتان خاضتا العديد من المعارك ضد بعضهما البعض طيلة فترة وجودهما.

وعلى الرغم مما تمثله هذه المعركة من أهمية إلا أن الكثير من الغموض قد خيم على تفاصيلها ولا نعلم سببا بعينه يكمن خلف عدم تناول معظم المؤرخين البيزنطيين لأحداثها بشكل واضح وصريح كغيرها من المعارك التي نشبت بين القوات البيزنطية وقوات الخلافة الإسلامية، إلاَّ ما كان يكنه مؤرخي بيزنطة والذين كان غالبهم من مؤرخو الكنيسة ومن الفريق الداعم لما عُرف في التاريخ بالأيقونات أي عبادة الصور، لقائد المعركة أو الإمبراطور الذي تنسب إليه وهو المنتمي إلى الأسرة العمورية المعادية للأيقونات.

كذلك يبدو أن المؤرخين المسلمين لم يكن لديهم كثير الحماس أيضا لذكر تفاصيل هذه المعركة فاكتفوا بالإشارة إليها في أحداث السنوات التي تناولوها ولم يفردوا لها مساحة كبيرة كما كان دأبهم في تناول مثل هذه الأحداث المهمة.

ولعل معرفة أسباب وقوع هذه المعركة كان الدافع لاختيار هذا الموضوع، فالوقوف على أهم نتائج هذه المعركة المباشرة وغير المباشرة هي الهدف من هذا البحث رغم قلَّة المصادر وشح المعلومات الواردة عن هذه الموقعة. منوهين على أتباعنا في سبيل الوصول إلى ذلك على المنهج التاريخي السردي التحليلي المقارن.

قبل الحديث عن مجريات هذه الواقعة نجد من الأهمية بمكان أن نسلط الضوء على الحياة السياسية التي كانت تعيشها الإمبراطورية البيزنطية تحت حكم الأسرة العمورية، والخلافة الإسلامية التي كانت تمثلها الأسرة العباسية. وذلك لكي يتبين ويتضح للمتتبع البيئة السياسية التي كانت عليها الدولتان قبل نشوب المعركة بينهما.

**الأحوال السياسية في الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية قبيل المعركة**

**أولا - الإمبراطورية البيزنطية**

عانت الإمبراطورية البيزنطية من صراعات طال أمدها حول المشكلة الدينية المتمثلة في عبادة الإيقونات[1] شغلتها عن الكثير من الأمور الأخرى المهمة للدولة فأضعفت مركزها فيما تبقى لها من ممتلكات في جنوب ايطاليا وأسهمت في تعميق الخلاف والانشقاق بين الكنيسة الشرقية والغربية من جهة وبين الإمبراطور والبابوية في روما من جهة أخرى، وانقسم بسبب هذا الخلاف المجتمع المسيحي إلى مناصر ومناهض لذلك الاعتقاد منذ زمن الإمبراطور ليو الثالث الايسوري Leo III The Isaurian (717-741م) الذي تزعم المعسكر اللاإيقوني وآثار

ضدها حربا مقدسة كانت على حد قول ثيوفانس أكثر "انعداما للرحمة"[2] أما الطرف الأخر فقد تزعمه بادئ الأمر بابا القسطنطينية جرمانوس Germanus (715-730م) مع غالبية الرهبان[3] والكثير من العامة والنساء، واضطرب المجتمع البيزنطي وأضحى العداء والكره بين الطرفين سافرا جليا، ولعل في الرواية المتعلقة بالأحداث التي أعقبت أوامر الإمبراطور ليو الثالث سنة 726م تبيان لذلك. إذ قضت تعليماته بضرورة إنزال أيقونة السيد المسيح الموجودة على مدخل القصر الإمبراطوري، وبما أن هذه الأيقونة تحظى بمكانة خاصة لدى عامة الجمهور الذين قاموا بقتل بعض القائمين على إزالة هذه الصورة[4] ، كانت ردة فعل الإمبراطور الانتقامية التي راح ضحيتها الكثير تعكس مدى حدة

الخلاف والانقسام الديني بين الطرفين، خصوصا أن مناصري عبادة الصور اعتبروا من قُتل منهم في تلك الأحداث شهداء.[5]

ظل الصراع اللاأيقوني مستمرا طيلة عهد الأسرة الايسورية (717- 813م) والأسرة العامورية (820-867م) مع تباين مستوياته من حيث القوة والضعف، فالمتتبع لهذه القضية يجد أنها اشتدت في عهد بعضهم وعلى وجهة الخصوص الرجال منهم مثل ليو الثالث و قسطنطين الخامسConstantineV (741-775م) وثيوفليس Theophilus (829-842م) في حين أن الأمر اختلف زمن النساء اللواتي كن مع عبادة الصور وهن الإمبراطورة ايرين Irene ( 797-802م) والإمبراطورة ثيودورا Theodora (842-856م) التي تولت العرش كوصية على ابنها ميخائيل الثالث Michael III (856-867م) عقب وفاة أبيه سنة 842م وكان أول أعمالها هو عقد مجمع ديني سنة 843م وضعت بموجبه حدا لهذه المشكلة التي استمرت ما يربو عن القرن من الزمان وذلك منذ سنة (736-843م).[6]

ولم تكن القضية اللاأيقونية التي عانت منها الإمبراطورية البيزنطية و هددت استقرارها وأمنها هي فقط المشكلة الوحيدة أمامها بل داهمها الكثير من المخاطر الخارجية التي أرقت مضجعها وتسببت في إرهاقها وضعفها وأدى بها إلى خوض غمار حروب طويلة ضد أولئك الطامعين في الاستيلاء على إرثها الحضاري والمادي كالبلغار والروس والصقالبة والمسلمين وغيرهم، وعلى الرغم مما شكلته هذه العناصر من ضغط شديد على الإمبراطورية إلا أن المسلمين كانوا يمثلون في تلك الفترة أكبر خطر واجهته الإمبراطورية. وذلك لأنهم منذ تأسيس دولتهم وانطلاق حركة الفتوحات الإسلامية التوسعية على حساب الكيانات السياسية المعاصرة والمجاورة لهم والتي من بينها الإمبراطورية البيزنطية الواقعة إلى جهة الغرب منهم

تمكنوا من الاستيلاء على بلاد الشام ومصر وأسيا الصغرى، بل أزداد الخطر الإسلامي على النفوذ البيزنطي بعد اهتمام المسلمين بسلاح البحرية[7] وامتلاكهم لأسطول قوي استطاعوا بفضله الاستيلاء على العديد من الجزر التي كانت تابعة للإمبراطورية من بينها جزيرة كريت التي استولوا عليها سنة 827م وجزيرة صقلية التي سقطت عاصمتها سيراكوزا سنة 831م.[8]

وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلت زمن الإمبراطور ميخائيل الثاني والإمبراطور ثيوفيلوس لاسترجاع ما خسرته الإمبراطورية من مواقع إلا أن جهودهم لم تكلل بالنجاح، حيث كان المسلمون وعلى الرغم من تفرقهم على جانب من القوة مكنتهم من الدفاع ولو إلى حين عن تلك الجزر، وقبل الاسترسال في هذا الجانب نسلط الضوء على الخلافة الإسلامية كيما نقف على أهم المراحل التي كان لها دورا بارزا في مجريات الأحداث.

**ثانيا- الخلافة الإسلامية**

كأي كيان سياسي مرت الخلافة الإسلامية بأطوار متباينة في القوة والضعف وكان أوج تماسكها وقوتها إبان الخلافة الراشدة (11-40هـ/ 632-661م) وأوائل الخلافة الأموية (41-132هـ/661-950م) التي أسسها معاوية بن أبي سفيان( 41-60هـ/ 661-680م) ثم جدد تأسيسها مروان بن الحكم( 64- 65هـ/ 684-685م).[9] إلاَّ أن الحسد بين الأسرة الحاكمة وسوء سلوك العمال والأمراء وعلى وجه الخصوص أولئك الذين هم بعيدون عن مركز الخلافة في دمشق وما نتج عن ظلمهم من ردة فعل من قبل السكان واستغلال ذلك الأمر من قبل دعاة العباسيين[10] أسهم في إسقاط الأسرة المروانية الأموية من الحكم وانتقلت الخلافة إلى بني العباس(132-923هـ/750-1517م)[11] الذين ثبتوا دعائم حكمهم على كافة الرقعة التي كان يسيطر عليها الأمويون باستثناء الأندلس التي تمكن عبد الرحمن بن معاوية(113-172هـ/731-788م) أحد أحفاد مروان بن الحكم من الاستئثار بها.[12]

على أية حال استمرت سياسة الخلافة الإسلامية عهد الأسرة العباسية مع الإمبراطورية البيزنطية على ما كانت عليه زمن الخلفاء السابقين وأن اختلفت نسبيا ، حيث اتسمت سياستهم بحرب مفتوحة يتخللها فترات قصيرة من السلام والهدوء، وكانت لعوامل الضعف والقوة دورا كبيرا في رسم تلك السياسة، كما أن كفة الميزان لتلك الحروب غالبا ما جاءت في صالح المسلمين[13] غير أن كثرة الفتن والثورات[14] التي عصفت بالخلافة العباسية ناهيك عن انتشار ظاهرة الاستئثار من بعض الولاة بما تحت أيديهم من مدن وأقاليم وحصولهم على شبه استقلال عن السلطة المركزية التي كانت هي ذاتها محل أطماع لأولئك

الولاة وذلك ابتداء من عهد الخليفة المنتصر(247-248هـ/ 261-262م) الذي تآمر مع الأتراك على قتل والده الخليفة المتوكل سنة 247هـ/861م[15] وما ترتب على ذلك من فتح الباب أمام تحكم الأتراك فيه، وفي غالب من أتى من الخلفاء من بعده ولم يتوقف الأمر على جنس الأتراك فقط إنما تعداهم إلى العديد من الأعراق الأخرى التي تمكنت من السيطرة على غالبية الخلفاء في تلك الفترة والتحكم في شخصهم، ومن ثم الاستحواذ على السلطة في الدولة وتسخير ذلك لتحقيق طموحات وأمجاد شخصية وتكوين أسر حاكمة بشكل مباشر أو عن طريق الهيمنة على الخلفاء مثل الأسرة الطاهرية في خراسان(207-259هـ/ 820-872م)[16] والأسرة الصفارية التي قامت على أنقاضها (253-290هـ/ 867-903م)[17] والأغلبية التي نشأت في أفريقيا حوالي سنة ( 184- 296هـ/800-909م)[18] وغيرها، كل ذلك أثر بشكل أو بأخر في إرهاق الدولة وإضعافها بسبب التنافس الذي نمى بين أمراء هذه الأسر الطامعين وما دار بينهم من صراع حول مناطق بسط النفوذ.

وعلى هذا الأساس يمكن وضع تصور عام للحال التي كانت عليها الدولة الإسلامية أبان فترة وقوع المعركة حيث أختل توازن الخلافة نتيجة لسيطرة الأتراك على الخلفاء، وانقسام الجيش والناس بين مناصر للخليفة ومعاد له طمعا في أموال الأتراك أو خوفا من سطوتهم.

أما على الجانب الآخر تمكن الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III سنة 856م من التفرد بحكم الإمبراطورية بعد ان تخلص من وصاية والدته تيودورا Theodora (842-856م) وشقيقاها براداس Bardas وبتروناس Petronas.[19]

وما أن سيطر ميخائيل الثالث على مقاليد العرش في الإمبراطورية ورسخت قدماه في الحكم حتى قام برفقة خالاه برداس وبتروناس سنة 245هـ/859م بقيادة حملة عسكرية نحو سمساط واقتربوا من آمد ثم خرجوا من الثغور الجزرية ونهبوا بعض القرى وأسروا حوالي عشرة ألاف شخص ورجعوا من حيث أتوا، وعلى الرغم من خروج عمر بن عبد الله الأقطع أمير ملطيه خلفهم إلا انه لم يتمكن من اللحاق بهم.[20]

وعظم الإمبراطور البيزنطي هذا الانتصار وأمر بنقش خمسة نقوش تجسده وتحفظ مفاخره على أسوار قلعة أنقره عند ترميمها.[21]

ولم تتوقف الأعمال الحربية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية سوى مدة قصيرة ساد فيها السلام وتبادل الطرفان فيها فداء أسراهم في شهر مارس سنة 860م وما أن دخل صيف ذات السنة حتى عزم الإمبراطور ميخائيل الثالث على غزو المسلمين فخلف

نسيتاس اوريفاس على القسطنطينية، واتجه إلى الشرق ولكن وقبل أن يبدأ عملياته العسكرية بشكل قوي وصلت إليه الأخبار من قبل نائبه في القسطنطينية تحمل الأنباء عن الخطر الروسي الذي بات يهدد العاصمة، مما اضطره إلى العودة وترك قسم كبير من جيشه في آسيا الصغرى وبصعوبة بالغة تمكن من دخول القسطنطينية حيث انضم إلى جنوده المدافعين عنها.[22]

علم عمر أمير ملطية بعودة الإمبراطور إلى عاصمته لمواجهة ما يحدق بها من أخطار، فقاد حملة واسعة وناجحة حيث تمكن خلالها من أسر أكثر من سبعة ألاف واسترد كل ما وقع تحت يد ميخائيل الثالث قبل عودته[23] ولا يعني هذا أن عمر كان يخشى جيش الإمبراطور ولا يرغب في مواجهته إنما تزامن رجوع الأخير مع استكمال استعدادات الأمير للحرب، وذلك لأن أمير ملطية كان من قادة الصوائف والشواتي وهي حملات عرفت منذ زمن عمر بن الخطاب وازدادت أهمية ونشاطا زمن معاوية بن أبي سفيان ومن جاء بعده، وقد عرفت بهذا الاسم لثبات موعد خروجها من كل عام، فالصوائف تلك التي تخرج في فصل الصيف ويبدأ توقيتها من منتصف شهر يوليو وحتى منتصف شهر سبتمبر والشواتي وهي التي تخرج في فصل الشتاء ويبدأ خروجها من آخر شهر فبراير وحتى أوائل شهر مارس وكان يتعهد بهذه الحملات أمراء الثغور التي من بينها ملطية إمارة عمر[24] وهي من أهم ثغور الخلافة الإسلامية أمام البيزنطيين ولذا اهتم بها الخلفاء بشكل خاص فأمر من بينهم الخليفة أبوجعفر المنصور (136-158هـ/ 753-774م) سنة 139هـ/756م بتجديد بناؤها وجعل فيها حامية كبيرة يربو عدد جنودها على أربعة ألاف مقاتل وذلك لحمايتها من محاولات البيزنطيين الاستيلاء عليها لأهمية موقعها وكثرة خيراتها[25]

مهما كان من أمر، انطلق الجيش البيزنطي إلى الشرق بعد وصول الأنباء عن تحركات المسلمين، فعبر الطريق المؤدي إلى منطقة الفرات العليا مرورا بانقرا وسباستيا حيث استقر في دازيمون - التي مني فيها ثيوفليس بهزيمة كبيرة على يد الافشين- في انتظار وصول أمير ملطية الذي كان متجها إلى أماسيا.[26]

وكان على الأمير أن يسلك في سبيل الوصول إلى أماسيا احد طريقين، الأول أن يتجه شمالا إلى دازيمون ثم ينحرف إلى الغرب على طريق غزيورا، أو الطريق الثاني الذي يذهب باتجاه الغرب إلى فيريس(بولوس) ثم سيبا ستوبليس ( سولو سيراي) وزيلا ، ومنها إلى أماسيا. إلاَّ أن الطريق الأول كان من الصعب المرور منه لوجود فرقة من الجيش البيزنطي في أحد

الحصون القريبة من دازيمون، تمنع الأمير من المرور من هذا الجانب، ولذا كان من الطبيعي أن يسلك الطريق الثاني إلا أن هذا الأمر أيضا لم يتم بهذه الصورة حيث إن عمر أظهر عبقرية عالية اعترف بها العدو قبل الصديق حين غير بشكل نهائي ومفاجئ طريقه إلى أماسيا رغم المخاطر التي قد تواجهه أثناء مسيره بالجيش بين الدروب الجبلية ، فقام بعبور تلال Akdagh التي انحدرت به على دازيمون وتمكن من الاستيلاء على تشوناريون التي تمثل موقع استراتيجي ومهم وهو يقع بالقرب من مكان وجود الجيش البيزنطي، حيث نشبت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الإمبراطور الذي لم ينج بنفسه إلاَّ بصعوبة بالغة فلجأ إلى تل أنزون وتمت محاصرته لساعات من قبل جنود الأمير غير أن قلَّة المياه والمؤن دفعتهم إلى الانسحاب وترك الإمبراطور[27]

أعقبت صائفة عمر عدة صوائف منها ما قاده وصيف التركي سنة 248هـ/861م حيث تمكن في هذه الحملة من فتح أحد حصون الدولة البيزنطية ويذكر الطبري[28] إنه كان يسمى فرورية. كذلك الحملة التي قادها جعفر بن دينار سنة 249هـ/862م وافتتح فيها أيضا حصنا آخر لم يذكر اسمه.[29]

وبعد تلك الإنجازات قام الأمير عمر بقيادة حملة عسكرية واسعة توغل بها في بلاد البيزنطيين[30] فقام بتخريب أرميناك، وتقدم حتى بلغ ساحل البحر الأسود حيث تمكن من الاستيلاء على ميناء مدينة أميسوس أكبر الموانى الواقعة على ساحل آسيا الصغرى في كبادوكيا، الأمر الذي كان له شديد الأثر على البيزنطيين إذ ما أن وصلت أخبار انتصارات الأمير إلى مسامع الإمبراطور حتى قام على الفور بتجهيز جيش كبير[31] اختلف حول قيادته ففي حين ذكر الطبري[32] إنهَ أي الإمبراطور كان من يتولى القيادة جاءت رواية أوردها فازيليف[33] مفادها إنه أسند قيادة الجيش إلى خاله بتروناس، ووضع تحت إمرته كافة القوات الأسيوية وأضاف إليها أيضا الأوربية. وفي الجانب الآخر كان عمر قد استولى على أمسيوس، وهناك وصلت إليه الأخبار عن تلك التجهيزات الكبيرة التي قام بها الإمبراطور وتوليته لبتروناس على رأس جيش متجها إلى الشرق، وعلى الرغم من نصح قادة الجيش للأمير بالرجوع من ذات الطريق الذي جاء منه إلاَّ أنه رفض ذلك وأصر على مواصلة تنفيذ خططه التي خرج من أجلها ، فانطلق من أمسيوس عبر طريق يوصله إلى الضفة الغربية لنهر هاليس لكي يصل إلى بوزن، وفي المقابل قرر بتروناس قطع الطريق أمامه، فاستولى على المنطقة الواقعة بين بحيرة تاتا ونهر هاليس.[34]

كما قامت مجموعة أخرى من قواته المكونة من الآرميناك وبوفلاجينية وغيرهم بإغلاق طريق العودة على عمر بعد مروره من الناحية الشمالية، في ذات الوقت أغلقت قوة أخرى من جيوش الأناضول وكبادوكيا معززة بقوات أخرى طريق الجنوب والجنوب الشرقي، زامن هذا التقدم من جهة الغرب لقوات بتروناس الرئيسية، حيث نشب القتال بينه وبين قوات الأمير حول الاستيلاء على تلَّة تمتاز بموقع استراتيجي يمنح أفضلية في القتال لمن يسيطر عليه، وتمكن باتروناس من هزيمة عمر والسيطرة على قمة تلك التلَّة.[35]

وهنا يمكن تصور الحال التي أصبح عليها أمير ملطية وقواته، فهو محاصر من جهة الشمال والجنوب الشرقي و يتعرض لهجوم القوات البيزنطية البالغ عددها خمسون ألفاً[36] من جهة الغرب تلك القوات المتمركزة على قمة التلة، بحيث صارت أعلى من قوات الأمير التي أصبحت عرضة لأسهم ورماح البيزنطيين.

وعلى هذا وبعد أن بلغ اليأس من الأمير في إخراج قواته من ذلك المأزق ورأى نفسه قد نفذت منه كل السبل لم يجد أمامه بدا من الهجوم على بتروناس الذي انقض عليه بكل قواته حيث أسفر ذلك على مقتل عمر وغالبية من معه ولم ينج من بينهم إلاَّ ابنه وعدد قليل جدا من الفرسان، الذين تعرضوا هم أيضا لهجوم آخر من القوات التي كانت تساند الجيش الرئيسي لبيزنطة وأخذوا أسرى وسلموا إلى بتروناس.[37]

هذا النصر الكبير الذي حققه الجيش البيزنطي آثار حفيظة الأمير علي بن يحيى الذي وصلت إليه الأنباء وهو في طريق عودته من أرمينيا متجها إلى ميافارقين، فقرر مواجهة الجيش البيزنطي في من معه من الجند وخاصة بعد أن علم أنهم أباحوا حرم المسلمين على الحدود الجزرية، فتقابل الجيشان في موقعة عرفت باسم مارتيربوليس، حيث دارت الدائرة على الأمير يحيى الذي استشهد ومعه حوالي أربعمائة من رجاله.[38]

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه الجيش البيزنطي ظلت الحدود في آسيا الصغرى بين الدولتين على ما هي عليه إذ ما استثنينا بعض الحصون التي تمكن المسلمون فيما بعد من إسقاطها وضمها إلى أملاكهم حيث رسخت أقدامهم في قبادوقيا شرق نهر هاليس.[39]

وقد أسفرت هذه المعركة على نتائج عدة منها:

– أن هذه الهزيمة التي مني بها المسلمون وما انتهت إليه من قتل قائدهم الأمير عمر بن عبد الله الأقطع، عدَّها البيزنطيون وعلى الأخص الإمبراطور ميخائيل الثالث ثأرا لما لحق به و بأبيه الإمبراطور ثيوفليس من هزائم ساحقة على يد المسلمين.

- مجد الإمبراطور هذا الانتصار وأُلفت من أجله أنشودة تم أنشادها في الساحة العامة في العاصمة، ذكر منها "احتفل بموت الأمير في ساحة المعركة"[40] وذلك لأنه أمر نادر الحدوث في الحرب مع المسلمين.
- توقفت الغارات الإسلامية البرية على بيزنطة.

لم ينعم الإمبراطور بهذا الانتصار ولم يشار إليه بالبنان من قِيل رجال الدولة التابعين للكنيسة ومعتقدها المخالف للإمبراطور اللاأيقوني، بل وأهمل جل المؤرخين الحديث بالتفصيل عن هذه المعركة و هذا الانتصار العظيم لبيزنطة على القوات الإسلامية، ولعل ذلك يرجع سببه إلى أن غالبيتهم كانوا من مناصري عبادة الأيقونات، واكتفى بعضهم بالإشارة إليها، كما أن المؤرخين المسلمين لم يتناولوا بإسهاب كما تعودنا عليهم تفاصيل هذه المعركة بل اكتفوا بالإشارة إلى ذكرها من حيث الزمن والأطراف والمكان والنتيجة فقط ومروا عليها مرور الكرام، ويبدو ذلك كان بسبب خسارة الجيش الإسلامي واستشهاد أميره أحد رموز الجهاد المدافعين عن الثغور الإسلامية في تلك الفترة.[41]

على أية حال قامتْ فتنة داخلية في الخلافة الإسلامية أدت إلى إجبار الخليفة المستعين على التخلي عن الخلافة فولي من بعده المعتز وذلك سنة 252هـ/ 866م.[42]

كما أنه بعد أربعة سنوات وبعد مأدبة عشاء وليلة شراب قام باسيل وهو سائس خيل الإمبراطور ثم نديمه باغتيال ميخائيل الثالث في 23 أو 24 سبتمبر سنة 867م وأصبح هو الإمبراطور بعده.[43] وما أن تهيأت له الظروف المواتية لمحاربة المسلمين وبعد تحقيقه لانتصار حاسما على البيالصة حتى زحف نحو الشرق وتمكن 873م من الاستيلاء على زبطرة وسميساط وأن لقي هزيمة كبيرة على يد المسلمين حين حاول الاستيلاء على حصن ملطية. ولم تكن هذه الحملة إلاّ بداية لسلسلة من الحملات البيزنطية على الأطراف الشرقية.[44]

**خاتمة**

يمكن القول إن هذه الدراسة أوضحت مجريات الأحداث العسكرية لأحد المعارك ذات الأهمية في الصراع المحتد بين الدولتين ومدى التنافس على السيادة والسيطرة بينهما. وتتبين أهمية هذه المعركة من حيث المشابهة في نتائجها وآثارها لتلك المعارك الكبرى، كمعركة بواتييه التي أوقفت تقدم القوات الإسلامية إلى حين في أوروبا، وكذلك أوقفت معركة مرج الأسقف تقدم القوات الإسلامية في آسيا.

كما تشابهت مع نتائج معركة اليرموك التي أنتصر فيها المسلمون، حيث إن نتيجتها فرضت على الإمبراطورية البيزنطية المنهزمة وضع المدافع لا المهاجم، وهذا ما حدث عقب هذه الواقعة حيث منحت نتيجتها القدرة للقوات البيزنطية المنتصرة في الهجوم وأوقفت غارات المسلمين البرية على بيزنطة وجعلتهم في موضع الدفاع لا الهجوم.

تبين من خلال هذه الدراسة إن انتصار بيزنطة في هذه المعركة كان فعلا نقطة تحول في الصراع بين الشرق والغرب، حيث إنها شكلت منعطفا جديدا في العلاقات بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، وأثرت بشكل مباشر في كفتي ميزان القوى بينهما فرجحت كفة القوات البيزنطية على كفة قوات الخلافة الإسلامية.

نتيجة أخرى هي إن ما أسفرت عنه هذه المعركة شكل نقطة الإفاقة التي شهدتها قوات الإمبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية التي أعقبت الأسرة العمورية في حكم الإمبراطورية فبادرت بالهجوم على الثغور الإسلامية.

وأيضا من خلال تتبع سير الأحداث السابقة واللاحقة لمجريات معركة مرج الأسقف يتبين عمق ذلك الصراع الأيديولوجي، وكذلك السياسي ومحاولة كلا الطرفين بسط النفوذ على أكبر مساحة للاستئثار بموارد هذه المساحة وذات الوقت لنشر الفكر الديني، وضم أكثر عدد إليه سواء باعتناقه أو مناصرته.

## الهوامش

[1] وهي عبادة التماثيل والصور ويرى البعض أن ظهور هذه الحركة كان ناجما عن تأثر الإمبراطور ليو الثالث بالديانة اليهودية والإسلامية اللتين تحرمان عبادة الصور وخاصة بعد أن أصدر الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (720-724م) مرسومه الذي نص على إزالة كافة الصور الموجودة في الكنائس داخل بلاد الإسلام، إضافة إلى حدوث ظاهرة طبيعية تمثلت في اندلاع بركان في بحر ايجة سنة 726م فسر على انه غضب الهي بسبب عبادة الأيقونات؛ ونشير إلى وجود أصل في اعتراض اللايقونيين على الأيقونات في الكتاب المقدس المسيحي حيث ورد فيه" لايكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور .." = سفر الخروج الإصحاح العشرون.

Theophanes: the Chronicle, trans. Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon press. Oxford,1997, pp. 555;

نقفور: التاريخ المختصر602-769م، ترجمة هانئ عبد الهادي البشير، القاهرة، دار النهضة العربية،2007، ص 95-96.

Vasiliev, A. A:" The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II, A. D. 72" , DOP, vol.9(1956)pp.25-26.

(2) Theophanes: Op Cit, p. 559.

(3) Vasiliev A. A. : History of the Byzantine Empire 324- 1454, Madison, 1952, p.253.

(4) Theophanes:, Op Cit, p. 559-560, See also Ostrogorsky G.: History of the Byzantine State, Translate Joan Hussy,Rutgers University press, New Jersey, 1957. P.162, Vasiliev: History of the Byzantine Empire, p.252.

(5) Theophanes: Op Cit, pp.559-560.

أنظر أيضا أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ت مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، مصر،1953،ص 152.

(6) Vasiliev: History of the Byzantine Empire , p. 254, See also, Ostrogorsky G: Op Cit, p.195.

حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، دار النهضة الغربية، 1983،ص136-137.

(7) لم يمتلك المسلمون أسطولاً بحرياً حتى زمن الخليفة عثمان، وذلك لان الخليفة عمر كان يرفض حمل المقاتلين في البحر مخافة عليهم ولذا أمر معاوية عندما طلب منه الإذن للغزو في البحر لتلك المناطق الساحلية التي تهدد الحدود الإسلامية آنذاك ، أن يحصن الثغور ويرم حصونها رافضا لطلبه ، ولما جاء عثمان وافق على طلب معاوية، ومنذ ذلك الحين بدأ المسلمون في الاهتمام بالأسطول البحري بعد أن خاضوا معركة ذات الصواري سنة 34هـ = الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، عمان، بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ، ص739؛البلاذري،أحمد بن يحيى بن جابر: البلدان وفتوحها وأحكامه، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992، ص149-150.

(8) Bury: A History of the Eastern Roman Empire from the fall of Irene to the Accession of Basil I 802-867A.D, London, 1912, pp.289, 304.

أنظر أيضا أسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية 324-1453، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص66-68.

(9) انظر أبو الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق رياض عبد الحميد مراد ومحمد حسان عبيد، ط2، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر،2010، الجزء 7-8.

(10) أبو عبد الله الذهبي: دول الإسلام، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1985،ص 73-74. انظر أيضا: أمينة بيطار:تاريخ العصر العباسي، ط4، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1997، ص 12،10.

(11) عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 204-205.

[12] السيوطي، المرجع السابق ، ص 207؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: التنبيه والأشراف، بيروت، دار صادر، 1893، ص331-323.

[13] أمينة بيطار: المرجع السابق، ص 188-189، 190-216،191.

[14] [11] من أخطر هذه الفتن وأشهرها :

1- الفتنة بين الأمين والمأمون، وهي التي نشبت سنة 195- 198هـ/ 810- 813م بسبب وراثة عرش الخلافة بعد وفاة هارون الرشيد الذي جعل ابنه الأمين خليفة من بعده، ثم أوصى بالعهد لابنه الأخر المأمون ومن بعده المعتصم، إلا أن التنافس بين الأخوة من جهة وبين حزبي العرب والفرس من جهة أخرى ، أدى إلى نشوب الحرب اثر إعلان الأمين الذي يمثل الحزب العربي البيعة لابنه موسى بدل المأمون الذي يمثل حزب الفرس، واستمرت رحى الحرب لمدة ثلاث سنوات خسر في نهايتها الأمين حياته وتولى المأمون الخلافة = اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1993، 383/2، 387 وما يلها؛ ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين: تاريخ الزمان، ترجمة اسحق أرملة، بيروت، دار الشرق، 1986، ص21.

2- بابك الخرمي: صاحب مذهب المزدكية، وهو مذهب إباحي، ظهر أمر بابك هذا سنة 210هـ/816م، زمن خلافة المأمون وكثر أتباعه واستمرت ثورته حوالي عشرون سنة، اضطربت بسببها أحوال الخلافة والرعية، إلا أن الخليفة المعتصم استطاع أن يضع حدا له ويقضي على فتنته حينما أرسل إليه قائد جيوشه الافشين ، الذي تمكن من هزيمته وصلبه على أسوار سامراء على أثر معركة فاصلة سنة 222هـ/ 837م= ابن العبري، مرجع سابق، ص31،27؛ اليعقوبي، مرجع سابق، 419/2؛ البلخي، أحمد بن سهل: كتاب البدء والتاريخ، تحقيق خليل عمران المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، 298/2-300، الدينوري، أبو حنيفة: الأخبار الطوال، دون مكان، دون تاريخ، ص 260.

(15) ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر: تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996، 220/1.

(16) الطاهرية وهي تنسب إلى طاهر بن الحسين احد قادة المأمون والذي تمكن من هزيمة جيوش الأمين والقضاء عليه فاستعمله المأمون على خراسان وأعمالها وعلى الشرطة في بغداد وتوارث أبناؤه ولايته حتى قضى عليهم وعلى سلطانهم الصفريون= أنظر إلى: مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية،2003، 392/3 وما يلها.

(17) الصفارية وهي تنسب إلى يعقوب وأخيه عمرو بن الليث اللذان كانا يعملان في الصفر بسجستان، حيث التحق يعقوب برجل كان يقود متطوعين لمقاتلة الخوارج يدعى صالح المطوعي وقد أبلى معه بلاء حسنا حتى جعله في مقام الخليفة عنه، وبعد وفاته تولى أمر المتطوعين رجل آخر يدعى درهم الذي استمرت مكانة يعقوب عنده على ما كانت عليه زمن صالح إلى أن قبض على درهم هذا من قبل أمير خراسان فتولى الأمر من بعده يعقوب وعظم أمره = انظر إلى ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد

الواحد الشيباني : الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، 193/6؛ مسكويه: مرجع سابق، 207/4.

(18) الأغالبة وهي تنسب إلى إبراهيم بن الأغلب الذي ولاه الرشيد على إفريقيا سنة 184هـ/ 800م = الطبري، مرجع سابق، ص1676؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، 92/9.

(19) Alexander P. Kazhdan : Oxford Dictionary of Byzantium , New York, Oxford, 1991., V.2, P.1364.

انظر أيضا

محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط3، دون مكان، 1993، ص177-178، 180.

(20) الطبري: مرجع سابق، ص 1914.

أنظر ايضا

Bury: Op Cit, p. 279, Warren Treadgold: A history of the Byzantine state and Society, California, Stanford Junior University, 1997,p.451, Ostrogorsky G: Op Cit, p. 201.

(21) فازلييف: العرب والروم، ترجمة محمد عبدا لهادي شعيرة، دار الفكر العربي، 1934، ص206-207.

(22) Bury: Op Cit, p. 281, also Warren Treadgold: Op Cit,,p.451.

فازلييف المرجع السابق، ص214.

(23) المرجع نفسه، ص214.

(24) الطبري: المرجع السابق، ص 692؛ قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، العراق، دار الرشيد للنشر، 1981، ص 192-193، كذلك أفراح أحمد القطلي: الثغور الشامية في العهد الأموي( 41-132هـ/ 661-749م) رسالة ماجستير قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2016،ص79، 80.

(25) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992 ،ص 166؛ البلاذري، مرجع سابق، ص 221-222، كذلك كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، انتشارات الشريف الرضى،1954،ص 152-153.

(26) Bury: Op Cit, p.281.

(27) Ibid, p.282.

(28) مرجع سابق، ص 1928.

(29) المرجع نفسه، ص 1936.

(30) ) اليعقوبي، مرجع سابق، 461/2.

أنظر ايضا

Warren Treadgold: Op Cit, p.452.

(31) فازيليف: مرجع سابق، ص 219-220.

(32) مرجع سابق، ص 1936.

(33) مرجع سابق، ص 220.

(34) Bury: Op Cit, p.282.

(35) Ibid: p.283-284

(36) الطبري: مرجع سابق، ص1936.

انظر أيضا السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية323-1081م، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982، ص302.

(37) فازيليف: مرجع سابق، ص223-224.

(38) الطبري، مرجع سابق، ص 1936.

انظر ايضا السيد الباز العريني: مرجع سابق، ص302-303.

Bury, Op Cit, p.284.

(39) السيد الباز العريني: مرجع سابق، ص304.

(40) Bury, Op Cit, p.284, see also Vasiliev: Op Cit, V1,p.277

(41) يذكر الطبري أنهما أي عمر بن عبد الله الأقطع و علي بن يحيى الآرمني" وكانا نابين من أنياب المسلمين، شديدا بأسهما، عظيما غناؤهما عنهم في الثغور التي هما بها" = الطبري، مرجع سابق، ص1936.

(42) الطبري: المرجع السابق، ص 1969 وما يليها.

(43) Ostrogorsky G: Op Cit, p.206.

(44) Ibid: p.211.